الدراسات الصوتية في عصر المماليك

منتصر الباقر حاج علي محمد

أ.مساعد بجامعة الإمام المهدي . كلية الآداب . قسم اللغة العربية

المستخلص :

هدفت الدراسة إلي الكشف عن حركة التأليف اللغوي في عصر ما يسمي بعصر الانحطاط اللغوي ، اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي وتوصلت الدراسة إلي عدد من النتائج أهمها: إن هذا العصر يزخر بالعديد من العلوم اللغوية ، وأنجب عدد من العلماء ذوي الشهرة العالية فمنهم علي سبيل المثال السيوطي ، وابن هشام ، والزركشي ، وأبو حيان ، والزبيدي ، وابن منظور ، والفيروز أبادي ، وابن الجزري ، وكان لكل منهم مؤلفاته المتميزة التي حفظت لنا العلوم اللغوية من الضياع في تلك الفترة التي شهدت فيها الخلافة الراشدة دماراً في شتي الجوانب ، وتكشف للباحث أن الأعاجم سعوا إلي تطوير اللغة والحفاظ عليها بعد سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد وليس العكس. كما يظن بعض الباحثين ، ويعتبر عصر المماليك من أكثر العصور حركة في التأليف اللغوي وليس عصر انحطاط ، وتوصي الدراسة بالوقوف والإطلاع علي مؤلفات علماء ذلك العصر ، وما كتب فيه لمعرفة إلي أي مدي أسهمت في تطوير الدرس اللغوي فهي بحق قمة هرم التأليف اللغوى حيث اعتمد عليه كثير من الباحثين في بحوثهم اللغوية ، وتوصلوا بفضلها إلي نتائج طيبة.

ABSTRACT:

The study aimed at the explaration of Lingustic narration at era which has called the Lingustic deterioration Era. The study had followed the descriptive and analystucal method then it reached a number of findings such as:This era is full of several linguistic sciences and came up with a number of scholars and those Alzarkashy, AbuHayaan, Alzubeidy, ibn Manzoor, those scholars had his own distinguistic sciences witnessed adevastation in many aspects. The researcher discovered that the

non-native speakers tried hardly to develop the language and preserve it after the fallingdown of the Islamic khilaafa in Baghdad and not the other way around as some researchers think. Almamaleek Era is considered one of the most narration eras in the linguistic narration and it's not an era of deterioration. The study recommends to take a stop and read about the narrations of the scholars of that Era, and what was written back them to what extent did it contribute in developing the linguistic lesson, thus it is the paramount of the linguistic narration on which so many researchers depended on conducting their linguistic researchers and they reached the above findings

المقدّمة

فهذه دراسة تكشف عن حركة التأليف في التراث الصوتي العربي في عصر المماليك وهو عصر يسمي زوراً عصر انحطاط التأليف اللغوي .

وقد وقع الاقتصار علي بعض المؤلفات في تلك الفترة لتكون مصدر هذه الدراسة.

أهمية البحث :

شهدت تلك الفترة حركة دؤوبة للتأليف، وقد انشغل الباحثون عن البحث فيها ، وذلك لما وُسمت به بأنها فترة انحطاط الإنتاج الفكري ،أو التأليف اللغوي فتكمن الأهمية في تخصيص هذه الدراسة للبحث في التأليف الصوتي في تلك الفترة .

أهداف البحث :

1- تصحيح المفهوم الشائع عن الانحطاط اللغوي في عصر المماليك

2- الكشف عن المباحث الصوتية التي شهدتها تلك الفترة في مجالات اللغة المختلفة .

3- التيسير علي القارئ بجمع مجهودات العلماء في تلك الفترة في مؤلف واحد

أسباب الاختيار:

جاء في موسوعة التأريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبي عن عهد المماليك قوله: " نحن الآن أمام عصر لا يزال يكتنفه الغموض بالتالي يحتاج الي دراسات جديدة تبعث فيه الضوء " (1) يرغب الباحث في الاستجابة لذلك ، بدراسة صوتية داحضاً بذلك المزاعم التي تصف هذا العصر بالانحطاط والانحدار اللغوي.

منهج البحث: المنهج المستخدم **في** هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التأريخي الوصفي التحليلي .

الصعوبات :

1- لم يعثر الباحث – في حدود إطلاعه – علي دراسة صوتية في هذا المجال .

2- عدم توفر المصادر التأريخية التي عاصرت هذه الفترة بصورة كافية .

تمهيد: لم يجد الباحث مؤلفات منفصلة أو خاصة بالدراسات الصوتية لكنه وقف علي جهود كثير من علماء ذلك العصر من خلال تآليفهم المختلفة والتي تناولت موضوعات أخري ، لكنها لم تخلُ من الإشارة إلي بعض الظواهر الصوتية ، من هؤلاء:القلقشندي ،الذي تحدث عن ترتيب الحروف وكذلك عن عدد حروف الهجاء، ومنهم الزركشي،وابن القيم، والسيوطي، وابن الجزري. ولما كانت اسهامات هؤلاء العلماء قليلة في هذا المجال بالمقارنة مع ابن الجزري سوف يركز الباحث علي اسهاماته بالتفصيل ثم يشير في نهاية المبحث إلي ما ذكره بقية العلماء في مؤلفاتهم المختلفة، وذلك بعد أن يقدم بحديث عام عن أصل اللغات وتعريف الحروف ووضعها فيما يلي:-

أصل اللُّغات أصوات : تعريف الصوت:

من "صات َيصُد وت صوتاً ، وأصات ،وصَوَّت به: كله نادى. ويقال : صوَّت ُيصَوِّتُ تصْويتاً ، فهو ُمصَوِّتٌ ، وذلك إذا صَوَّت بإنسانٍ فدعاه . ويقال : صات يصوت صوتاً ، فهو صائت ، معناه صائح"(2). "والعرب تقول : أسمع صوتاً وأرى قوتاً أي اسمع صوتاً ولا أرى فعلاً، ومثل إذا كنت تسمع بالشيء ثم لا ترى تحقيقاً".

"وكلُّ ضَرْب من الغناء صوتٌ ، والجمع الأصوات. وقوله عز وجل : (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ) [سورة الإسراء ، الآية 64] ؛ قيل بأصوات الغناء والمزامير" {3}.

وممن اهتم بالصوت من القدماء الجاحظ ، وذلك لأنه قد أشار في كتابه الحيوان الي سرعة الصوت وتأثيره وما يخترع الأصوات واللحون من الطير ، فقال في سرعة الصوت : " ومتي رأيت البرق وسمعت الرعد بعد ، والرعد يكون في الأصل قبله ولكن الصوت لا يصل إليك إلا في سرعة البرق لأن البارق والبصر أشد تقارباً من الصوت والسمع ، وقد تري الإنسان وبينك وبينه رحله، فيضرب بعصا إما حجراً وإما دابة ، وإما ثوباً فتري الضرب ، ثم تمكث وقتاً الي أن يأتيك الصوت " .

وقال في تأثير الأصوات :" وأمر الصوت عجيب وتصرفه في الوجوه عجب ، ضمن ذلك أن منه ما يقتل ، كصوت الصاعقة ، ومنه ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور ، فتقلق حتى ترقص ، وذلك مثل هذه الأغاني المطربة ، ومن ذلك ما يمكن ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشي علي صاحبه ، كنحو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الملحنة ، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني ، لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكي ماسرجوية من قراءة أبي الخوخ فقيل له : " كيف بكيت من كتاب لا تصدق به ؟ قال : " إنما أبكاني الشجى. وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال" {4}

وكذلك يقول أحمد الطيب : " الأصوات أنواع : منها الصوت الرائع وهو أنس لمن أنس به ووحشة لمن استوحش منه ، ونعيم مقيم لقوم ، وعذاب أليم عند قوم".{5}

أما في كتاب البيان والتبيين فقد عرف الجاحظ الصوت بقوله :" الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ، ولا كلاماً موزوناً ، ولا منشوراً إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة ". {6}

أصل اللغة :

يقول ابن جني :" وذهب بعضهم إلي أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء ، وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد".

ويلاحظ أن ابن جنى لم يثبت هذا الرأي بل قال : " وذهب بعضهم " وقد ذكره في مدار حديثه عن أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح حينما قال : " هذا موضع محوج الي فضل تأمل ، غير أن أكثر أهل النظر علي أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوفيق ".{7}

وبعد هذا الرأي مباشرة يذكر رأي أستاذه بقوله : " إلا أن أبا علي رحمة الله ، قال لي يوماً : هي من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه: " وعلم آدم الأسماء كلها" {البقرة الآية 31 }. ويقول في ذلك: " هذا لا يتناول موضع الخلاف . وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم علي أن واضع عليها " الي قوله : " علي أنه قد فسر هذا بأن قيل : " إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات ، بجميع اللغات ، العربية والفارسية والسريانية والعبرانية ، والرومية وغير ذلك من سائر اللغات ، فكان آدم وولده يتكلمون بها ، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا ، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات ، فقلبت عليه ، واضمحل عنه ما سواها ، لبعد عهدهم بها " بعد حديثه هذا كله تجده ميالاً الي الرأي القائل بأن اللغة من الأصوات المسموعات وذلك من خلال قوله التالي : " وأعلم أنني علي تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغوّل علي فكري وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف ، والرقة ، ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به إلي غلوة السحر " {8}

الحروف : تعريف الحرف

"الحَرفُ في الأصل : الطَّرفُ والجانب ، وبه سمي الحَرْف من حروف الهجاء". "وحروف الرأس شفاه، وحرف السفينة والجبل : جانبهما ، والجمع

أحرف وحروف" {9}. "والحرف من الجبل ماتنافر جنبه منه كهيئة الدكان الصغير أو نحوه"{10}.

"وحروف كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه حرف الجبل ، وهو أعلاه المحدد، وفي حديث ابن عباس : "أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف" أي على جانب . "وحرف الشيء : ناحيته ، وفلان على حرف من أمره أي ناحية إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه ، وفي التنزيل : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) {سورة الحج آية 11} أي : إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه". أما تسميتهم الحروف حرفاً فحرف كل شيء ناحيته كحرف الجبل والنهر وغيره"{11}.

ومدار الحديث هنا حول حروف الهجاء ووضعها ومخارجها وصفاتها .

وضع الحروف:

للقدماء اهتمام بحروف الهجاء ويلمح ذلك منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعد أول من أبان للعلماء أهمية علم الأصوات جمع الخليل مفردات اللغة، وسجلها علي طريقة رياضية ، ثم شرحها وأشار الي المهمل والمستعمل من ألفاظ اللغة كما رتب الحروف في مجموعات صوتية حسب مخارجها فقدم المجموعات الصوتية بحسب عمقها في الحلق ، ثم تدرج حتي الحروف الشفوية ، ثم حروف العلة ، وكان ترتيبه كما يلي : ع ح هـ خ غ – ص ك – ج ش ض ص س ز – ط د ت – ظ ث ذ – ر ل ن – ف ب م – وا ي همزة. {12}

ويكمن سر اختياره لحرف " العين " قوله : " أنه تذوق جميع حروف العربية فوجد أن العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها حتي أتي علي آخرها.. من ذلك يتضح أنه علي علم بالجهاز الصوتي وتركيبه وأجزائه وذلك بتحديده لمخارج الأصوات ، التي جعلها في أحياز ومدارج بعد أن أحصي حروف العربية وجعلها تسعة وعشرين حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً وأربعة جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع في مدرج الحلق ، ولا مدارج اللهاة ، وإنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. {13}

أما سيبويه فقد اقتبس من أستاذه الجليل في تناوله للحروف فبدأ بحروف الحلق ، لكنه تناول مخارج الحروف مفردة وليست مجموعة كما فعل الخليل من ذلك مثلاً قوله: " ومن باطن الشفة السفلي وأطراف الثنايا العلا مخرج الفاء "{14}

وكذلك "يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبي مرسل بَم يرسل؟ قال بكتاب منزَّل. قلت يا رسول الله كم حَرْف؟قال : تسع وعشرون قلت عددت ثمانية وعشرين فغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى احمرّت عيناه ثم قال : يا أبا ذر والذي بعثني بالحق نبياً ما أنزل الله على آدم إلاّ تسعة وعشرين حرفاً . قلت يا رسول الله فما ألف لام ، فقال عليه السلام: لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم حرف صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ، ومن لم يعد لام فهو برئ مني وأنا برئ منه ، ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً" {15}.

أما الزركشي فقال :"واعلم أنا لما كان بحمد الله أمة وسطا خير أمة أخرجت للناس وكان خير الأمور أوسطها وكانت حروف اللغات ما بين أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وثلاثين ، مما تقدم كان حروف الكلام العربي التي بها رقم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ فتوسط بين حروف اللغات وهي أ ب ت إلى آخره وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجي) {16}.

"استفتاح السور بحروف التهجي: نحو آلم، آلمص، آلر، كهيعص،طه، طس، طم، حم، حمعسق ، ق ، ن ، وذلك في تسع وعشرين سورة" {17} ويسميها سيبويه {18} والخليل{19} حروف العربية أي حروف المعجم ، أما لأنها مقطعة لا تفهم إلاّ بإضافة بعضها إلى بعض ، وأما لأن منها ما ينقط النقط المعروف أو تنقط كلها أي تشكل ، إذ النقط قد يكون بمعنى الشكل ، وقال بعض أهل اللغة : العجم النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان ، يقال من أعجمت الحروف معناها حروف الخط المعجم ، وبعضهم يجعل المعجم مصدراً بمعنى الإعجام من أعجمت الشيء إذا بينته فكأنها مبينة للكلام ، وتكون الهمزة في أعجمت للإزالة أي أزلت عجمته

أما بنقطه أو شكله. وإذا اعتبرت سائر اللغات بالتخفيف فلن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفاً (يريد غير الألف واللام) في الحروف العربية ، والقائل بذلك يجعل الكلام ألفا مركباً من حرفين فلا يعده حرفاً مستقلاً.

قال علماء الحروف : وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين. قالوا : ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلة وبقيت تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة ، والغين المعجمة، والفاء والقاف ، والكاف واللام ، والميم والهاء ، والواو ، والياء المثناة تحت" {20}.

"تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواقي وما يندغم منها أربعة عشر حرفاً أيضاً يعود المنازل الغائبة، وهي التاء المثناة من فوق، والثاء المثلث ، والدال المهملة ، والذال المعجمة ، والراء والزاي، والسين المهملة والسين المعجمة ، والصاد المهملة، والضاد المعجمة، والفاء المهملة والظاء المعجمة والنون ، تقول التاء ، والثاء ، فتخفي في لفظك وكذلك في البواقي" {21}.

أولاً ما رود في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري المتوفي سنة 833هـ.

من المعلوم أن (كتاب النشر) من كتب القراءات المشهورة وقد جمع فيه صاحبه الطرق المتواترة عن رواة القراءات العشر بالإضافة إلي ما وجد في ثناياه من علوم فقه اللغة العربية فتجده ينتقل من علم مخارج الحروف وصفاتها إلي الوقف وأحكامه ثم إلي الإدغام والإمالة إلي غيرها ويمكن الإشارة إلي كل ذلك بالتفصيل فيما يلي:

مخارج الحروف

مخرج الحرف كما ورد في لسان العرب هو موضع الخروج يقال: خرج مخرجاً حسناً {22} يقول في ذلك: "أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهزلي وأبي الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجاً وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها" {23}.

مما يلاحظ علي ما ذكره ابن الجزري أنه أثبت جهود من سبقه من العلماء ولم يدع الابتكار فقد أشار إلي جهود الخليل ذلك العالم الجليل الذي يرجع له الفضل في تأليف كثير من العلوم، وهو أول من أبان للعلماء أهمية علم الأصوات وهو صاحب معجم العين وهو مؤسس علم العروض والقوافي وأشار إلي جهود الشيخ الجليل مكي بن أبي طالب وهو من علماء القراءات.

ولأهمية النطق الصحيح للأصوات في القراءة الصحيحة للقرّاء نجد كثيراً من علماء القراءات يهتمون بذكر المخارج وأهميتها ، وكذلك أضاف ابن الجزري للباحث الإلمام بمعرفة من لهم الدور في الدراسات الصوتية، ولم تتوفر الإشارة لهم في المؤلفات الحديثة كهؤلاء الذين اشتهروا من أمثال الخليل ،و المهدوي ، وابن كيسان ، والجرمي ، وابن خروف، وغيرهم.

أوضح ابن الجزري أن عدد المخارج سبعة عشر مخرجاً واستدل علي ذلك بما أثبته ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحرف) والتي لم يذكر ابن الجزري اسمها ولكنه قال: " أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها"{24}.

ثم يشير ابن الجزري إلي آراء النحاة والقرّاء الآخرين في عدد المخارج ويقول:" وقال كثير من النحاة والفرّاء هي ستة عشر فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين وجعلوا مخرج (الألف) من أقصي الحلق (الواو) من مخرج المتحركة وكذلك (الياء) وذهب قطرب، والجرمي، والقراء، وابن دريد، وابن كيسان إلي أنها أربعة عشر فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد هو طرف اللسان ، والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختيار"{25}.

يتضح رأيه في المخارج باختياره للرأي الأول القائل بأنها سبعة عشر وذلك بعد أن عرض لأراء كثير من العلماء ثم أختار ما رآه صحيحاً بقوله: (والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختيار).

يفصّل ابن الجزري الحديث عن المخارج الواحد تلو الآخر إلي أن وصل إلي المخرج السابع عشر كما يلي:

المخرج الأول:

–الجوف– وهو للألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وهذه الحروف تسمي حروف المد واللين ، وتسمي الهوائية والجوفية {26} .وبعد أن حدد ابن الجزري المخرج أشار إلي قول الخليل في مخرج هذه الحروف قال ، قال الخليل: وإنما نسبت إلي الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن. قال مكي: وزاد غير الخليل معهن الهمزة لأنه مخرجها من الصدر وهو متصل بالجوف. وبعد أن أورد قولي الخليل ومكي تجده يقول : والصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة لأنهن أصوات لا يعتمدن علي مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة. وبذلك فهو متفق تماماً مع الخليل في مخرج هذه الحروف الثلاثة.

المخرج الثاني:

أقصي الحلق: وهو للهمزة والهاء. فقيل علي مرتبة واحدة وقيل الهمزة أول{27}.

المخرج الثالث: وسط الحلق: وهو للعين والحاء المهملتين. فنص مكي علي أن العين قبل الحاء وهو ظاهر كلام سيبويه وغيره.ونص شريح علي أن الحاء قبل العين وهو ظاهر كلام المهدوي وغيره.

من خلال ما يعرضه ابن الجزري يجد الباحث نفسه أمام مجموعة من الآراء القيمة والمعتبرة لكثير من العلماء لأنك تجده يذكر رأي الخليل ثم من بعده مكي وتارة أخري يعرض لرأي سيبويه والمهدوي وكل هذا يعتبر إضافة حقيقية للباحث وللمطلع علي آراء ابن الجزري في المسائل الصوتية وغيرها.

المخرج الرابع:

أدني الحلق إلي الفم: وهو للغين والخاء ، ونص شريح علي أن الغين قبل، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضاً ، ونص مكي علي تقدم الخاء ، وقال الأستاذ/ أبو الحسن علي بن خروف النحوي إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد. قلت وهذه الستة الأحرف المختصة بهذه الثلاثة المخارج هي الحروف الحلقية.

وقد أشار إليها الخليل أيضاً بأنها حلقية بقوله (فالعين والحاء والخاء والغين حلقية) ويلاحظ أن الخليل بدأ ترتيب حروف الحلق بالغين وسمي معجمه بها وذلك حسب ما قال: (أنه تذوق جميع حروف العربية فوجد أن العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها حتى أتي علي آخرها) {28}.

المخرج الخامس:

أقصي اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك وهو للقاف وقال شريح: أن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء {29}.

المخرج السادس:

أقصي اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك وهو للكاف وهذان الحرفان يقال لكل منهما (لهوى) نسبة إلي اللهاة وهي بين الفم والحلق {30}.

وهذا الرأي تأكيداً لما ذكره الخليل بقوله:" القاف والكاف لهويتان" {31}.

المخرج السابع:

للجيم والشين المعجمة ، والياء غير المدية – من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك – ويقال – إن الجيم قبلها. وقال المهدوي:" إن الشين تلي الكاف والجيم والياء يليان السين وهذه هي الحروف الشجرية" {32}.

المخرج الثامن:

للضاد المعجمة، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ، ومن الأيمن عند الأقل وكلام سيبويه يدل علي أنها تكون من الجانبين ، وقال الخليل: إنها أيضاً شجرية يعني من مخرج الثلاثة قبلها والشجرة عنده مخرج الفم – أي مفتحه وقوله إن الضاد من الجانب الأيسر يختلف مع بعض آراء القدماء مثل الجاحظ الذي قال في مخرجها " فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، إلا أن يكون

المتكلم أعسر يسرا ، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء فأما الأيمن والأعسر فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه"{33}.

ويؤكد سيبويه ما قاله الجاحظ في مخرج الضاد بقوله (تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف) {34}.**المخرج التاسع:** اللام (من حافة اللسان من أدناها إلي منتهي طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والنائب والرباعية والثنية) {35}.

المخرج العاشر:

النون (وهو من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً) {36}.

المخرج الحادي عشر:

للراء (وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا ، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلاً ، وهذه الثلاثة يقال لها: الذلقية نسبة إلي موضع مخرجها وهو طرف اللسان. إذ طرف كل شيء ذلقه {37} ويعني أن ابن الجزري بالثلاثة (اللام، والراء، والنون).

المخرج الثاني عشر:

للطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلي جهة الحنك ويقال لهذه الثلاثة : النطعية لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر:

لحروف الصفير وهي: الصاد والسين والزاي ، من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلي وهذه الثلاثة الأحرف هي الأسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان وهو مستدقة.

المخرج الرابع عشر:

للظاء ، والذال والثاء ، من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ويقال لها اللثوية نسبة إلي اللثة. وهو اللحم المركب فيه الأسنان {38}.

المخرج الخامس عشر :

للفاء ، من باطن الشفة السفلي وأطراف الثنايا العليا.

المخرج السادس عشر:

للواو غير المدية والباء والميم ، مما بين الشفتين فينطبقان علي الباء والميم ، وهذه الأربعة الأحرف يقال لها: الشفهية والشفوية ، نسبة إلي الموضع الذي تخرج منه وهو الشفتان {39}.

المخرج السابع عشر:

الخيشوم – وهو للغنة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمها من الإدغام بالغنة ، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجهما الأصلي علي القول الصحيح ، كما يتحول مخرج حروف المد من مخرجهما إلي الجوف علي الصواب {40}.

وبذكره للمخرج السابع عشر يتضح أن اهتمامه بالمخارج الهدف منه هو تجويد القرآن والنطق الصحيح لحروفه، وذلك لأن غيره من السابقين قد ذكر مخرج النون والميم من غير تخصيص مخرجها في حالة الغنة. ثم يضيف إلي ذلك قوله:ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها، فمن ذلك الهمزة المسهلة بين بين فهى فرع عن الهمزة المحققة، ومذهب سيبويه أنها حرف واحد نظراً إلي مطلق التسهيل ، وذهب غيره إلي أنها ثلاثة أحرف نظراً إلي التفسير بالألف والواو والياء،ومنه ألفا الإمالة والتفخيم وهما فرعان عن الألف المنتصبة، وإمالة بين بين لم يعتدها سيبويه وإنما اعتد الإمالة المحضة ، وقال التي تمال إمالة شديدة كأنها حرف آخر قرب من الياء. ومنه الصاد المشممة وهي التي بين الصاد والزاي فرع عن الصاد الخالصة وعن الزاي . ومنه اللام المفخمة فرع عن المرققة ، وذلك في اسم الله تعالي بعد فتحه وضمه وفيما صحت الرواية فيه عن ورش حسبما نقله أهل الآراء من مشيخة المصريين. {41}

صفات الحروف :

"منها المجهورة ، ومنها المهموسة ، والهمس من صفات الضعف كما أن الجهر من صفات القوة والمهموسة عشرة يجمعها قولك : سكت فحثه شخص، والهمس الصوت الخفي فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموساً والصاد، والخاء المعجمة أقوى مما عداها ، وإذا منع الحرف النفس أن يجري معه حتى ينقضي كان مجهوراً" {42}.

(ومنه الحروف الرخوة وضدها الشديدة والمتوسطة فالشديدة وهي ثمانية أجد قط بكت؛ والشدة امتناع الصوت أن يجري في الحروف وهو من صفات القوة.

والمتوسط بين الشدة والرخاوة وضدها خمسة يجمعهما قولك : لن عمر" . "والمهموسة كلها غير التاء والكاف رخوة ، والمجهورة الرخوة خمسة الغين، والضاد، والظاء،والذال المعجمات ،والراء.المجهورة الشديدة ستة يجمعها قولك طبق أجد. وهي حروف التفخيم ومنها الحروف المستفلة ، وضدها المستعلية والاستعلاء من صفات القوة وهي سبعة يجمعها قظ خص ضغط على الصواب وأعلاها الطاء كما أن أسفل المستفلة الباء مثل حروف التفخيم حروف الإطباق ولاشك أنها أقواها تفخيماً" {43}. "ومنها الحروف المنفتحة وضدها المنطبقة والانطباق من صفات القوة وهي أربعة الصاد ، الضاد الطاء الظاء (وحروف الصفير) ثلاثة الصاد والسين والزاي ، وهي الحروف الأسلية المتقدمة". وقال الزركشي في حروف الصفير: "هي ثلاثة ليس لها نصف فجاء منها السين والصاد ولم يبق إلا الزاي" {44}.

"(حروف القلقلة) ويقال للقلقلة خمس يجمعها قولك قطب جد"{45}. قال الزركشي : "ووهم الزمخشري. في عدد من حروف القلقلة إنما ذكر نصفها فإنها خمسة ذكر منها حرفان القاف والطاء"{46} "و (حروف المد) هي الحروف الجوفية وهي الهوائية وتقدمت أولاً وأمكنهن عند الجمهور الألف"{47}. "و(الحروف الخفية) أربعة الهاء ، وحروف المد سميت خفية لأنها تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها. ولخفاء الهاء قويت بالصلة. وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة وحرفا اللين ، والواو ، والياء الساكنان المفتوح ما قبلهما" {48}.

"(وحرفا الانحراف) اللام ، والراء على الصحيح"{49} . "وسميا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتي اتصلا بمخرج غيرهما ، (وحرفا الغنة) هما النون والميم، ويقال لهما الأغنان لما فيهما من الغنة المتصلة بالخيشوم، و (الحرف المكرر) هو الراء". وقال الزركشي : "والراء حرف مكرر"{50} . "وحروف التفشي هي : الشين اتفاقاً لأنه تفشي من مخرجه حتى اتصل به مخرج الكلام الطاء" {51}. "والحرف المستطيل هو الضاد لأنه استطال على الفم عند النطق به حتى اتصل به مخرج الكلام ، وذلك لما فيه من القوة والجهد والإطباق والاستعلا" . "فأعلم أن الحروف المستفلة كلها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منه إلا اللام من اسم الله تعالى بعد فتحه أو ضمه إجماعاً ، أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الرويات، والراء المضمومة والمفتوحة مطلقاً في أكثر الروايات، والساكنة في بعض الأحوال"{52}. "والحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى شيء منها في حالٍ من الأحوال، أما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق، ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها ترقيقاً وتفخيماً" {53}.

ما تشترك فيه الحروف وما تنفرد به من الصفات:

"كل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركته إلاّ بالصفات وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلاّ بالمخرج كالهمزة والهاء إشتركا مخرجاً أو استقالاً وانفتاحاً ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة ، والغين والخاء اشتركا مخرجا ورخاوة واستعلاء وانفتاحاً ، وانفردت الغين بالجهر والجيم والشين والياء اشتركت مخرجا وانفتاحاً واستفالاً ، وانفردت الجيم بالشدة واشتركت مع الياء في الجهر، وانفردت الشين بالهمس والتفشي ، واشتركت مع الياء في الرخاوة ، والضاد والظاء اشتركا صفة جهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقاً، وافترقا مخرجا ، وانفردت الضاد بالإطباق والاستعلاء ، واشتركت مع الدال في الجهر ، وانفردت التاء بالهمس ، واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال والطاء ، والذال ، والثاء اشتركتا مخرجا ورخاوة ، وانفردت الظاء بالاستعلاء والإطباق واشتركت مع الذال في الجهر استفالا وانفتاحاً ، والصاد والزاي والسين اشتركت

مخرجا ورخاوة وصفيراً ، وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء، واشتركتا مع السين في الهمس ، وانفردت الزاي بالجهر واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال وكل ذلك ظاهر مما تقدم"{54}

إمالة الحرف نحو الحركة:

" إن الإمالة هي إن تنحو بالألف نحو الياء وبالألف التي قبلها نحو الكسرة وهي لغة بني تميم وقد يوجد في لغة غيرهم قليلاً ، وأما أهل الحجاز فلغتهم الفتح".{55}

"والإمالة تكثر في الأفعال والأسماء إلّا ما كان منها متوغلاً في البناء وغيره مشتمل نحو (ما) الإستفاهمية ، أو الشرطية أو الموصولة و (إذا) ولما الحروف فلا يمال شي منها إلا (بلي) و (لا) من قولهم (أما لا) و (يا) في النداء فامالتها وبابها أن الأفعال لعدم موجب الإمالة وهي (الحجاج) اسماً علماً و (الناس) و (باب) و (مال) و (غاب) وقال بعضهم رأيت عرفاً وضيفاً ، فأمال ولم يعتد بالقاف "{56}

الوقف على الحرف في أواخر الكلم:

"إن للوقف في كلام العرب أوجهاً متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعة وهو : السكون ، والروم ، والإشمام ، والإبدال، والنقل، والإدغام ، والحذف والإثبات ، والإلحاق (فالإلحاق) : لما يلحق آخر الكلم من ها السكت (فالإثبات) لما يثبت من الباءات المحذوفات وصلاً . (والحذف) لما يحذف من الياءات الواوات في الهمز بعد إبداله"{57} . (والنقل) : نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وفقاً . (والبدل) : يكون في ثلاثة أنواع : أحدهما الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ، الثاني الاسم المؤنث بالتاء في الوصل : يوقف عليه بالهاء بدلاً من التاء إذا كان الاسم مفرداً ... الثالث : إبدال حرف المد من الهمزة المتطرفة بعد الحركة وبعد الألف". "فأما (السكون) فهو الأصل في الوقف على الكلم المتحركة وصلاً ؛ لأن معنى الوقف الترك ، والقطع من قولهم وقفت على كلام فلان، أي تركته وقطعته ، ولأن الوقف أيضاً ضد الابتداء فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون فهو عبارة تفريغ الحرف من الحركات الثلاث"{58} . "أما (الروم) فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة وقال بعضهم هو تضعيف

الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها وكلا القولين واحد، وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي" {59}. "وأما (الإشمام) هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، وقال بعضهم : أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة ، وكلاهما واحد ، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف. وهذا مما لا يختلف فيه"{60}.

آراء متفرقة لبعض علماء عصر المماليك: أ/ القلقشندي:756 – 821 هـ:

قال في عدد الحروف: "قال علماء الحروف: وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً علي عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .قالوا: ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلة وبقيت تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة ، والغين المعجمة ، والفاء والقاف والكاف واللام ، والميم ، والهاء والواو والياء المثناة تحت" {61}.

يلاحظ أن القلقشندي قد ربط عدد الحروف بعدد منازل القمر وجعل التي تظهر مع لام التعريف تكون بعدد المنازل الظاهرة من القمر وعددها أربعة عشر ويشير أيضاً إلي التي لم تندغم مع لام التعريف بقوله: وما يندغم منها أربعة عشر حرفاً أيضاً يعود إلي المنازل الغائبة ، وهي التاء المثناة من خوف ، والثاء المثلث ، والدال المهملة ، والذال المعجمة ، والراء والزاي ، والسين المهملة والسين المعجمة ، والصاد المهملة والضاد المعجمة ، والفاء المهملة والظاء المعجمة والنون ، تقول التاء والثاء ، فتخفي في لفظك.

وكذلك في البواقي وفي ترتيب الحروف يقول : "إن ترتيب الحروف على ضربين مفرد ومزدوج ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كلا النوعين خلاف في الترتيب: أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي .

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: أبجد ، هوز ، حطي، كلمن، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، على أنه قد اختلف في كلمات أبجد هل لها معنى أم لا ، وهل يكره تعلمها أم لا ، وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلمها.

وقد جاء أنها كانت تعلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويشهد لذلك قول الأعرابي في أبياته:

أتيت مهاجرين فعلموني	*	ثلاثة أسطر متتابعات		
وخطو لي أبا جاد وقالوا	*	تعلم سفعصاً وقـرَّيشات		

وقيل أن أبجد ، وهوز ، وحطي ، كلمن ، كانت أسماء ملوك مدين ، وإن كلمن كان في زمن شعيب عليه السلام ، وقد تقدم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضعي العربي على قولٍ" {62} .

ب/ ابن قيم الجوزية ت 751هـ:

تحدث في كتابه بديع الفوائد عن العلاقة بين الحركة والحرف بقوله: "فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز والحرف جزء من الصوت ومحال أن تقوم الحركة بالحرف لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض وإنما المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين ، أو اللسان ، أو الحنك الذي يخرج منه الحرف، فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين ، بالضم عند النطق مع ذلك صويت ففي مقارن للحرف أن امتد كان واواً ،وإن قصر كان ضمة، وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وحدث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة أو نصبة،وإن ُمدت كانت ألفاً، وإن قصرت فهي فتحة، وكذلك القول في الكسرة والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك أي ينقطع فلذلكسمي جزماً ، اعتباراً بانجزام الصوت وهو انقطاعه ، وسكوناً اعتباراً بالعضو الساكن فقولهم فتح وضم وكسر هو من صفة العضو وإذا سميت ذلك رفعاً ونصباً ، وجزماً ، وجراً فهي من صفة الصوت لأنه يرتفع عند ضم الشفتين وينتصب عند فتحهما ، وينخفض عند كسرهما وينجزم عند سكونهما ولذلك عبروا عنه بالرفع والنصب والجر عن حركات الإعراب؛ أن الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب كما أن هذه الصفات التي تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما تكون بسبب وهو حركة العضو واقتضت الحكمة اللفظية أن

يعبر بما يكون عن سبب، وهو الإعراب وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء فإن البناء لا يكون سبب وأعني سبب العامل" {63}.

وبحديثه هذا تجده قد بّين حركة العضو الذي يتحرك في حالة النطق بالحركة مثل قوله:" فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق ..الخ" {64}.

ج/ السيوطي:

وله مؤلفات عدة أشهرها وأكثرها تداولاً عند الباحثين هو كتاب المزهر في علوم اللغة تناول فيه قضايا عديدة ابتداءاً بأصل اللغة وأشار فيه إلي آراء كثير من العلماء، كذلك تحدث عن الأضداد والمشترك اللفظي وعن اللهجات وغيرها، في هذا الجزء يعرض الباحث لجزء يسير من آرائه في الدراسات الصوتية منها قوله: " وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت ، فإن تركه سدىً غفلاً امتد وطال ، وإن قطعه وجزءه علي حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصي الرئة إلي منتهي الفم . . الخ"{65}

وفي دور الحرف والمخرج في الفصاحة العربية يقول "إن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الطاء ، ثم الذال ، ثم التاء ، ثم الشين ، ثم القاف ثم الخاء ، ثم العين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم، فأخف هذه الحروف كلها : ما استعملته العرب في أصول أبينتهم من الزوائد لاختلاف المعنى"{66} . و"رتب الفصاحة متفاوتة ، فإن رتب الفصاحة الكلمة تخف وتنقل، بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قرباً ، و بُعداً، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر : الأول – الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط الأدنى نحو (ع د ب) . الثاني – الانتقال من الأعلى إلى الأدنى في الأوسط نحو (ع ر د). الثالث – من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى نحو (ع م هـ) الرابع من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو (د ل ت) . الخامس – من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو (ب ع د). السادس – من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط نحو (ب ع د). السابع – من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى نحو (ف ع م). الثامن – من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو (ف د م) التاسع – من

الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو (د ع م). العاشر – من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو (د م ع) . الحادي عشر – من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط نحو (ن ع ل) الثاني عشر من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط نحو (ن م ل)" {67}.

وفي الثقل والتنافر والتقارب في الحروف أشار إلي قول ابن دريد في الجمهرة{68} : "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ، ودون حروف الذلاقة ، كلفته جرساً واحداً ، وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللُّغات لقربها منها ، نحو قولهم أم والله : هم والله ، وكما قالوا في أراق هراق الماء ، لوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول ها ، وإذا تباعدت مخارج الحروف حُسن وجه التأليف قال : واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمةٍ واحدة ، لصعوبة ذلك على ألسنتهم وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا مثل أح بلا فاصلة واجتمعا في مثل أحد ، وأهل ، وعهد ، ونخع ، غير أن من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدوا بالأقوى من الحرفين، ويؤخر الألين كما قالوا : ورل ، ووتد. فبدءوا بالتاء مع الدال ، وبالراء مع اللام ، فذُق التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بجَرْس قوي وتجد الدال تنقطع بجرس لين ، وكذا الراء تنقطع بجرس قوي ، وكذلك اللام تنقطع بغنة ، ويدلك على ذلك أيضاً اعتياص اللام أقلُّ من اعتياص الراء وذلك ليبين اللام"{69} .

قال الخليل : ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين ، فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة ؛ ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكلّ واحدة منهما معنى على حدة ، نحو قولهم : حيهل وقول الآخر حيهاوه وحيهلاً،فحي كلمة معناها هلم،وهلا:حثيثاً" {70} .

"والتنافر يكون إما لتباعد الحروف جدا ، أو لتقاربها ، فإنها كالطفْر والمشي القيد ، نقله الخفاجى من (أسرار الفصاحة)" {71}.

" ويشبه استواء تقارب الحروف وتباعدها في تحصيل التنافر استواء المثلين اللذين هما في غاية الوِفاق ، والضِّدِّين اللذين هما في غاية الخلاف في كون كلٌ من الضِّدِّين والمثلين لا يجتمع مع الآخر ، فلا يجتمع المثلان لشدة تقاربهما ، ولا الضِّدِّين لشدة تباعدهما، وحيث دار الحال الحروف المتباعدة والمتقاربة فالمتباعدة أخف" .

"قال ابن جني في سر صناعة الإعراب{72} : التأليف ثلاثة أضرب أحدهما : تأليف الحروف المتباعدة ، وهو أحسنه ، وهو أغلب في كلام العرب ، والثاني: الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه ، وهو من الأول في الحسن ، والثالث: الحروف المتقاربة ، فأما رُفض ، وأما قلّ استعماله ، وإنما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة ، لأن المتماثلين يخفان بالإدغام، ولذلك لما أرادت بنو تميم إسكان عين (مَعْهم) كره و ذلك ، فأبدلوا الحرفين حائين ، وقالوا : (مححم) فرأوا ذلك أسهل من الحرفين المتقاربين"{73} .

أتسمت العربية بحرف الضاد فهي لغة الضاد كما هو معلوم وذلك لأن الضاد كان شاقاً عصياً علي ألسنة المولدين قال ابن جني : " واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا يوجد من كلام العجم إلّا في القليل{74}.

كل ما تقدم من حديث عن الدراسات الصوتية كان الغرض منه توضيح اهتمامات العلماء بهذا العلم في العصور المتقدمة ثم الإشارة من خلاله إلي وجود ذلك الاهتمام في عصر المماليك .

نتائج البحث:

رغم أن ظاهر تلك الفترة يوصف بالانحطاط في التأليف اللغوي إلا أن التأليف قد أحتل فيها حيزاً غير يسير .

- من خلال البحث وجد أن هذا العصر يزخر بالعديد من العلوم اللُّغوية المتمثلة في علم الصوتيات.
- وصف أحمد أمين التأليف في تلك الفترة بقوله :" أما اللغة فكان عمل المتأخرين فيها ليس إلا جمعاً لمن سبقهم أو اختصاراً في التعبير أما جديد فلا{74} " وقوله هذا يوصلنا إلي نتيجة هي جمع اللغة وعدم التفريط فيها في تلك الفترة التي شهدت فيها الخلافة الإسلامية دماراً في شتي الجوانب .

- لا يمكن وصف هذا العصر بالضعف اللغوي وإنما يوصف بغزارة الإنتاج اللغوي وجودته.
- أنجب هذا العصر عدداً من العلماء ذوي الشهرة العالية منهم علي سبيل المثال: السيوطي ، ابن مالك ،بن هشام ، الزركشي ، أبو حيان ، الزبيدي ، ابن منظور ، الفيروزبادي ابن الجزري وكان لكل منهم مؤلفاته المتميزة التي أفاد منها الباحثون كثيراً .
- كان لابن الجزري إسهامات واضحة في مجال الدراسة الصوتية حيث وصف أصوات اللغة من حيث المخارج والصفات والتفخيم والترقيق والإمالة وغيرها.

يكفي لحركة التأليف الصوتي أن حفظت لنا العلوم الصوتية من الضياع في تلك الفترة.

- لا يصح أن ينسب الانحطاط اللغوي إلي الأعاجم لأنهم هم أنفسهم سعوا إلي تطوير اللغة والحفاظ عليها بعد سقوط الخلافة الراشدة.
- عصر المماليك من أكثر العصور حركة في التأليف اللغوي.

التوصيات:

1- الكتابة بصورة أوسع وأشمل عن جهود الدرس اللغوي في عصر المماليك.

2- تناول حالة الأدب بتأني وطمأنينة في هذا العصر حتى لا نحكم عليه مثل ما حكمنا علي اللغة في السابق مع كثرة الاستشهاد بالشعر والشعراء.

المراجع:

1/ أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط8 ، 1990 ، ج5 ، ص 251.

2/ ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص 435.

3/ ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص 346.

4/الجاحظ ، الحيوان ، دار الجيل بيروت ، ط1 ،1988 ،ج4 ،ص408.\

5/ أحمد الطيب ، 1975 ، ص125.

6/ الجاحظ ، ص79.

7/ ابن جني ، 1952 ،ص40 – 47.

8/ابن جني ، 1952 ، ص41–47.

9/ ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص28.

10/ السيوطي ، 1993 ، ص629.

11/ ابن منظور ، لسان العرب ، ج3، ص129.

12/ الفراهيدي ، العين ، ج1 ، ص53.

13/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

14/ سيبويه ، 1982 ، ص433.

15/ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص10.

16/ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1988 ، ج1، ص165.

17/المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

18/ كتاب سيبويه ، ج4 ، ص431.

19/ الفراهيدي ، كتاب العين ، ج1، ص10 – 11 د.ط.ت.

20/ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3، ص10.

21/ المصدر نفسه ، ج3، ص21 – 22.

22/ ابن منظور ، ج5، ص39.

23/ النشر ، ج1 ، ص198.

24/ النشر ، ج1، ص199.

25/ السابق ، ج1، ص199.

26/ النشر ، ج1 ، 199.

27/ النشر ، ج1 ، ص199.

28/ العين ، ج1 ، ص58.

29/ النشر ، ج1 ، ص199.

30/ النشر ، ج1 ، ص200.

31/ العين ، ج1 ، ص58.

32/ النشر ، ج1، ص200.

33/ البيان والتبيين ، ج1، ص63.

34/ الكتاب ج2، ص488.

35/ النشر ، ج1، ص200.

36/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

37/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

38/ المصدر نفسه ، ص201.

39/ النشر ،ج1 ،ص201.

40/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

41/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

42/ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ،ج1 ،ص202.

43/ المصدر نفسه ، ص201 – 202.

44/ البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص116.

45/ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1، ص202.

46/ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص204.

47/ ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، ج1، ص204.

48/ ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص204.

49/ ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، ج1، ص204.

50/ البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص116.

51/ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ح1 ، ص205.

52/ المصدر نفسه ، ج1، ص216.

53/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

54/ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1، ص216.

55/ ابن عصفور ، ط1، 1998، ج3، ص253.

56/ المصدر نفسه ، ج3، ص255 – 256.

57/ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج2، ص266.

58/ المصدر نفسه ، ج2 ، ص120 – 121.

59/ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج2، ص121.

60/ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

61/ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3، ص10.

62/ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج13، ص23 – 24.

63/ ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ط1، (د.ت.) ج1، ص34.

64/ بدائع الفوائد ، ج1 ، ص34.

65/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، د. ط. ت ،ج21، ص36.

66/السيوطي ، المزهر ، ج1، ص195.

67/ المصدر نفسه ، ج1، ص197.

68/ ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج1، ص191 – 192.

69/ السيوطي ، المزهر ، ج1، ص194.

70/ السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص192 – 193.

71/ السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص193.

72/ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ط1 ، 1954.

73/ السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص194.

74/ سر صناعة الإعراب ، ج1، ص233.